الحِجَاج في شعر ابي اسحاق الالبيري (ت ٤٦٠هـ)

م.د. اسراء عبد الرضا عبد الصاحب الغرباوي
وزارة التعليم العالي و البحث العلمي / مركز البحوث النفسية

الملخص

موضوع البحث كما يدل عليه عنوانه (الحِجاج في شعر ألإلبيري) ونعني به النظر في مجموع التقنيات التي اعتمدها الشاعر ليحتج لرأي أو ليدحض فكرة محاولا إقناع القاري أو المتلقي بما يبسطه أو حمله على الاذعان لما يعرضه.

فالحِجاج – في حقيقة الأمر– يعتمد على دراسة الطريقة والاسلوب اللذين يتبناهما المتكلم للتغيير من معتقدات المتلقي واقناعه بالموضوع المراد ايصاله اليه، كالإشارات والعبارات والحجج، في تواصلنا مع الآخر.

اعتمدنا في منهجية البحث الدراسة الموضوعية تقسيم العمل الى مبحثين:

المبحث الاول: وهو الجانب النظري،والذي يلم بالمفاهيم الخاصة بالحجاج،وتقنياته.

أما المبحث الثاني الجانب التطبيقي يتضمن شعرية الخطاب الحجاجي ويقع في **محورين:**

الأول: يتضمن اللغة والاسلوب الذي اعتمده منتج النص في صيغه خطابه.

أما الثاني: فيشمل الصورة التي رسمها الشاعر في خطابه وهو يحاجج الآخر ويقنعه، ثم ذكرنا جملة من النتائج التي توصلنا اليها.

Pilgrims in the poetry of Abi Ishaq al-Alberti (d 460 AH)
An analytical study

Preparation
Dr.. Add to furl Esra Abdel Reda Abdel Saheb El

Abstract

The subject of the research, as indicated by its title (Pilgrims in the Poetry of the Iberian), by which we mean looking at all the techniques adopted by the poet to seek an opinion or to refute an idea in an attempt to persuade the reader or the recipient of what simplifies it or to compel him to submit to what he offers.

The pilgrims - in fact - depend on studying the method and method adopted by the speaker to change the beliefs of the recipient and convince him of the subject to be

conveyed to him, such as signs, phrases and arguments, in our communication with the other.

In the research methodology, we adopted the objective study dividing the work into two topics:

The first topic: It is the theoretical aspect, which is familiar with the concepts of pilgrims, and their techniques.

As for the second topic, the applied aspect, it includes the poetry of the Hajji discourse and falls into two axes:

The first: includes the language and style adopted by the producer of the text in his speech form.

As for the second: it includes the picture that the poet drew in his speech as he argued and persuaded the other, then we mentioned a number of results that we reached.

perfection in this research, but I have made an effort - as much as I can - to find out the texts of the argument and evidence and then analyze it.

المقدمة

تتميَّز اللغة العربية بتنوُّع وتعدد أساليبها،وفنونها التعبيرية في ذات الوقت فضلاً عن بلاغتها وفصاحتها، وممّا تميّز به الأدب الأندلسي أنّه كان يُنطق باللغة العربية الصافية، وله طابع خاص في الخصائص لا سيما في الفنون الشعرية كما امتازت معانيه وأفكاره بالوضوح والبساطة والبُعد عن التعقيد، ومن هذه الأساليب أسلوب الحِجاج، وهو إيراد الحجَّة، والحُجَّة تعني الإقناع والمحاجَّة والمخاصمة المتعلِّقة برد الرأي الخاطئ والانتصار للحق. ومن الشعراء الأندلسيين الخالدين في ذاكرة الأدب يبرز الشاعر الأندلسي الإمام الواعظ أبي إسحاق الألبيري.

وموضوع بحثنا كما يدل عليه عنوانه (الحِجاج في شعر الألبيري) ونعني به النظر في مجموع التقنيات التي اعتمدها الشاعر ليحتج لرأي أو ليدحض فكرة محاولا إقناع القاري اوالمتلقي بما يبسطه اوحمله على الاذعان لما يعرضه،وهو امر سيقودنا حتما الى دراسة بنية الحِجاج من ناحية واساليبه من ناحية ثانية.

فالحِجاج – في حقيقة الأمر– يعتمد على دراسة الطريقة والاسلوب اللذين يتبناهما المتكلم للتغيير من معتقدات المتلقي واقناعه بالموضوع المراد ايصاله اليه ، كالإشارات والعبارات والحجج ، ولايمكن لأي مخاطب من الاستغناء عنه ، وهذا لا يقتصر على العمل الادبي انما نجده في حياتنا اليومية التي تبنى على الادلة والحجج في تواصلنا مع الاخر .

وقد اعتمدت الباحثة المنهج التحليلي – النقدي في دراسة شعر الألبيري وكان الباعث الاساس لدراسة الحجاج بالتحديد يكمن في وفرة اليات الحجاج وقوتها في نصوص الشاعر ، فضلاًعن تنوعها وجودة اسلوب المحاججة فيها ، فاردت ان اسلط الضوء على هذه النصوص وقراءتها بشكل جديد باعتماد الاجراءات والاليات الحجاجية ، وكان اختيار الألبيري كونه الشاعر الاندلسي الذي اشتهر بالزهد وجعل شعره وسيلة لبث آرائه ونقد المجتمع ، وقد سخر من بعض القضايا السياسية والاجتماعية .

لذا اقتضت منهجية البحث تقسيم العمل الى مبحثين :

المبحث الاول : يتضمن الدراسة الموضوعية وهو الجانب النظري من البحث ، والذي يلم بالمفاهيم الخاصة بالحجاج ، وتقنيات الحجة البرهانية، وكذلك مفهوم الحجاج والياته ، ثم نظرة الشاعر الى القضايا التي طرحها في نصوصه محاولا القاء الحجة على متلقيه في قضايا عده مثل الابتعاد عن حب الحياة والتذكير بالموت والخوف من النار يشمل الاقناع في الامور الدينية ، والامور الحياتية ...

اما المبحث الثاني: فهو الجانب التطبيقي من الدراسة ، ويتضمن شعرية الخطاب الحجاجي ويقع في محورين:

الاول: يتضمن اللغة والاسلوب الذي اعتمده منتج النص في صيغه خطابه.

اما الثاني :فيشمل الصورة التي رسمها الشاعر في خطابه وهو يحاجج الاخر ويقنعه ، وانهيت البحث بخاتمة ذكرت بها جملة من النتائج التي توصلت اليها ، ولا أزعم اني قد بلغت الكمال في هذا البحث إلا اني قد بذلت جهداً – قدر استطاعتي – للوقوف على نصوص الحجة والبراهين ومن ثم تحليلها . والحقنا البحث بخاتمة ثم اهم المراجع التي اعتمد عليها .

مفهوم الحِجاج وعلاقته بالخطاب الشعري

الحِجاج لغة: تدور معاني الجذر اللغوي لكلمة حجاج (ح ج ج) المجادلة بسبب خلاف الوجهه او ما شابه ، ومنه الدليل على الرأي المرغوب اثباته [١] ، ويقول ابن منظور(ت٧١١ هـ) : " يقال حاججته أحاجه حجاجا ومحاجة حتى حججه اي غلبته بالحجج التي أدليت بها "[٢]

اما اصطلاحا : فان الحِجاج يعني" النزوع والخصام بواسطة الادلة والبراهين والحِجج "[٣] وهو " اشارة ثقافية معرفية تثير طروحات فكرية فلسفية قوامها التساؤلات اللامتناهية " [٤] كما انه " جملة من الاساليب تضطلع في الخطاب بوظيفة تحفز المتلقي على الاقناع بما تعرضه عليه او الزيادة في حجم هذا الاقناع " [٥] والكلام عموما – كما يراه حازم القرطاجني – " اما ان يرد على جهة الاضمار او الاقتصاص واما ان يرد على جهة الاحتجاج والاستدلال "[٦] .

وعلى هذا النحو يمكن تعريف النص الحجاجي بكونه: "نصا مترابطا متناغما ،يقوم على وحدة معينة لاتكون بالضرورة واضحة جلية بل قد تأتي على نحو خفي لانكاد نلمحه، وضع لإقناع المتلقي بفكرة ما اوبحقيقة معينة عن طريق تقنيات مخصوصة"[٧]

وكما هو معروف ان الخطاب الشعري اجمالا يدور حول فكرة الموضوع او ما يسمى في التصنيفات النقدية (الغرض الشعري) ، اذ يمثل المحور الاساس الذي يدور حوله الخطاب ، الا ان ذلك لا يمنع من وجود مضامين اخرى جزئية يهدف بها منتج النص الى اقناع المتلقي بآراءه ومعتقداته الخاصة ، عن طريق طرح الحجج والبراهين بما يتماشى مع فهم المتلقي ليكون قناعات جديدة او يرسخ قناعات قديمة .

وهذا جل ما يراد من الحجاج اذ " يعد الحجاج خطابا ذا إقناعية تروم دفع المتلقي الى تعبيير اعتقاداته وتبني ثقافة وسلوكيات وتصرفات منشودة انطلاقا من حجج ملائمة لثقافة المتلقي المفترض وتمثلاته " [٨]. وهذه الإقناعية لا يمكن ان توجد بالشعر إلا اذا تمكن الشاعر من ادواته ،سواء اختيار الالفاظ أوطرح المعاني المتنوعة والمتضمنة براهين دامغة تدعم الفكرة الاساس التي يدور حولها النص الشعري .

اذ ان الخطاب الحجاجي هو مضمون التواصل البلاغي هدفه " استمالة الرأي العام نحو فكرة معينة ، هي هدف كل قائم بعملية الاقناع والتأثير ومن اجل ذلك ينصب اهتمام القائمين بالإقناع والتأثير على

افضل السبل واقلها كلفة و وقتاً وجهداً في الوصول الى تغيير اتجاهات الرأي العام أو بناء اتجاهات جديدة او تعديلها "[٩]

تقنيات الحجة البرهانية

ان اسلوب الشاعر في المحاججة لم يكن اسلوبا عشوائيا او تلقائيا، وانما جاء معتمدا على تقنيات محددة ، اذ ان المحاججة تبنى " على جملة من التطورات والمقدمات والفرضيات التي ينسج منها المحاجج خططه البرهانية فبهذه المقدمات يستمال المعنيون كما ان لهم الحق في رفضها ، اذا لم تنسجم مع تطوراتهم او كانت من البساطة او السطحية بحيث لا تمثل اي عنصر جذاب " [١٠] لذلك فالخطاب الحجاجي هو " خطاب واعي يرتكز في اساسه على منتج الخطاب ، ومدى قدرته على بناء نص حجاجي من خلال توظيفه للآليات الحجاجية المختلفة ، اذ انه يحمل الطابع الجدلي الذي يتجسد بين الباث والمتلقي وفق تقنيات معينة يحاول بواسطتها كل منهما اقناع الاخر وإفحامه بحجج منطقية عقلانية "[١١] اول من قام بالتنظير لها (بيرلمان) اذ يقسم تقنيات الحجاج اللغوية الى فئتين :

تقنية طرق الوصل: هي التي تقرب بين العناصر المتباعدة لغرض توحيدها ثم تنظيمها

وتقنية طرق الفصل: تكون غايتها توزيع العناصرالتي تعد كلا واحدا وفصلها وتفكيكها[١٢]

وقد اطلق على الدراسات الحجاجية الجديدة مصطلح(البلاغة الجديدة) [١٣]

ويمكن تقسيم تقنيات الحجاج "الى :

١. الادوات اللغوية الصرفة : مثل الفاظ التعليل بما فيها الوصل النسبي والتركيب الشرطي وكذلك الافعال اللغوية ، والحجاج بالتبادل والوصف وتحصيل الحاصل .
٢. الاليات البلاغية : مثل تقسيم الكل الى اجزائه والاستعارة والبديع والتمثيل .
٣. الاليات شبه المنطقية : ويجسدها السلم الحجاجي بأدواته والياته اللغوية ويندرج ضمنه كثير منها مثل الروابط الحجاجية : لكن ، حتى ، فضلاً، عن ، ليس ، كذا ، فحسب ، ادوات التوكيد ، ودرجات التوكيد " [١٤]

المبحث الاول

الدراسة الموضوعية

حجاجية الموضوع و المعاني

لقد كان لعمل الألبيري في القضاء اثرواضح في بناء شخصيته وانعكاسها في شعره ، فقد كان يكثر من النصح والارشاد ومحاولة الاقناع في كثير من الامور سواء كانت امور الدين ام الدنيا ، ومن تأمَّل في شعره رأى أنَّه قد اِشتمل مِن الحكم والمواعظ والتَّذكير، وبيان حال الدُّنيا وأهميَّة العلم الشَّيء الكثير. ذلك من خلال طرح الحجج و البراهين ، فضلاًعن التأثير العاطفي وضربه الامثال و الاشارة الى الآيات القرآنية والقياس عليها في كل مجالات الحياة .

اذ ان" معرفة التكوين الثقافي للمؤلف وحضوره الطبقي والاجتماعي فضلاً عن حيثية علاقاته و تماساته مع المؤسسة الايدولوجية او السلطة الفكرية في عصره ، تعد من الاهمية بمكان للكشف عن الفاعليات النسقية في الخطاب الادب " [١٥] وهذا يظهر جلياً في خطابه الشعري لاسيما المتضمن الافكار المدعمة بالحجة والدليل الذي لا يقبل الشك ، في مختلف مجالات الحياة المتعددة كالعلم والفقر والغنى بل وحتى امور الدين كالموت والحياة .

لذلك أرتأتْ الباحثة ان تقسم الدراسة الموضوعية الى محورين:

الأول: يتضمن الاقناع في الامور الدينية.

والثاني: الاقناع في الامور الحياتية .

ويأتي هذا التقسيم اعتماداً على المادة الشعرية والموضوعات التي تناولها الشاعر فيقنع بها الاخر (المتلقي) فهي تدور حول محورين الاول ديني يشمل التذكير بالموت ونبذ التعلق بالحياة الفانية ، فالدنيا متاع زائل ، فهو يعاتب تارة و يحاجج تارة اخرى ، كما يحذر الغافل من النار في نظرة واقعية وبآليات إقناعيه تعكس ثقافة الشاعر الدينية .

اما المحور الثاني فيظهر الشاعر المنتقد لكثير من قضايا مجتمعه وهو يحث المتلقي على عدم الخوف من الفقر والسعي لكسب المال الحلال ثم صنع المعروف الذي يعود على صاحبه بالنفع فهي سنة الحياة فمن يزرع خيراً يجني ثماره .

لقد كان الإلبيري مشهوراً بالتقوى والصلاح ، حتى ان ابن الخطيب لقبه ب (المولى العابد) فقد كان يشترط في القضاء ان يكونوا من اهل الزهد والتقوى والصلاح [١٦] ، لذلك فقد دأب في اكثر من مناسبة الى ان يذكر بالموت ويحث الناس على نبذ الدنيا الفانية ، مشغلا آليات البراهين وحجج من الواقع المعاش فيرى بان خير منازل الانسان هي الاخرة وان الدنيا فانية حتى لأكبر الملوك واعظمهم سلطانا ، وعلى الرغم من كثرة وسائل المتعة في الاندلس وتطرف اهلها في الانغماس بالمتع والملذات ، فإننا نرى تطرفهم في الزهد كذلك [١٧] ، وقد يكون ذلك ردة فعل شديدة ضد عدد وفير من ابنائها ذوي اصوات عالية مسموعة في الانغماس في المادية والابتعاد عن الروحية [١٨] ومما لاشك فيه ان الألبيري هو جزء من ذلك المجتمع لذا نجده يبرهن للناس ان الموت آت لا محاله ويذكر كل من أمِنَ الموت ولهى عنه بهذه الابيات [١٩] :

كَمْ آمن للمنونِ لاهٍ عن الردى باتَ مطمئنا
صَبَّحَهُ وافدُ المنايا فعايَنَ الموتَ حينَ عَنَّا

ثم يصف مشهدا قد مر به الانسان لكن غفل عن التهييء لملاقاته فكان حجة عليه وهو مشهد الدفن والمباراة في اللحد اذ يقول :

وارَوهُ في لحدهِ وسَنُّوا عليهِ قيدَ الترابِ سَنَّا
وانتهبُوا مالهُ وشنُّوا الغاراتِ فيما حواهُ شَنَّا

ثم النصح والارشاد للاستعداد لذلك الموقف وتقرير حقيقة حتمية الموت والبرهنة عليه بأنه يأخذ الطفل والمسن فيقول :

لمثلِ هذا فكنْ مُعِدّا ما قد أعدَّ الهُداةُ مِنَّا
وارتقِبِ الموتَ فهوَ حَتمٌ يحترمُ الطفلَ والمُسِنَّا

ولعل تجاهل الانسان لحقيقة الموت هو الذي دفع الألبيري الى المحاججة في اثبات حقيقة واقعة قد لا تحتاج الى البرهنة ، الا ان الشاعر اصر على يذكربها نفسه قبل الاخر ، اذ يقول[٢٠]:

الى كمْ اقولُ ولا افعلُ وكمْ ذا احومُ ولا انزلُ
وازجرُ عيني فلا ترعوي ونصحُ نفسي لا يغفلُ
وكمْ ذا اؤملُ طولَ البقاءِ واغفلُ و الموتُ لا يغفلُ
وفي كل يومٍ ينادي بنا مُنادي الرحيل : الا فانزلوا

وهنا يحاجج شاعر نفسه لائماً اياها ومعاتبا لتقصيرها ،اذ يذكرها بالموت وهي غافلة ، وقد وظف (كم) الخبرية وكررها مرتين، وقد اسهمت في تكرارها في رفد المعنى الحجاجي بالطاقة الدلالية الايقاعية ومن ثم تعزيز عمق المعنى ،وطالما وفق الشعراء الزهاد عند الموت واستشفعوا منه العبرة .

قد آمن بالموت الا انه لم يفزع منه ، فهو يؤمن بان الاجل سوف ينزل بالناس وعليهم اخذ العبرة ممن سبقوهم ، فاين الملوك والسلاطين ؟ انه يؤمن بان الموت اذا حل بساحة الانسان فلا مرد له ، وان كل انسان سوف يمر بسكرات الموت حين تعالج الروح من الجسد لتصعد الى خالقها [٢١] وهنا يطرح البراهين الدالة على تلك الحقيقة ، قائلا [٢٢] :

ومن مَلكٍ كانَ السرورُ مِهادَهُ ... مع الآنِساتِ الخُردِ والخَفِراتِ
غداً لا يذُودُ الدودَ عن حُر وجهِهِ ... وكانَ يذودُ الأُسدَ في الاجماتِ
وصارَ ببطنِ الارضِ يلتحفُ الثرى ... وكانَ يجرُ الوشيَ والحَبراتِ
وَلم تُغنهِ انصارُهُ وجنودُهُ ... وَلم تَحمِهِ بالبيضِ والاسلاتِ

وهذه حقيقة صادمه للغافل واكبر برهان انه الموت الذي اخز الملوك حتى اكلتهم الدود ولم تنفعهم جنودهم وانصارهم، وقد وظف الشاعر الاسلوب السردي القصصي في تتابع الاوصاف السردية ليحقق المعنى الشعري بتلك الرؤى الموضوعية الحجاجية ، وقد كرر الفعل الناقص (كان) مرتين مع تكراره (لم) الجازمة ليوازن بالإبداع الحجاجي بين حال الانسان في الدنيا وحاله بعد الموت .

ويسترسل الشاعر في ادراج حججه وبراهينه في اثبات حقيقة الموت وما يتعلق بها فهي تقع حيث لا يعلم الانسان زمان ومكان حدوثها وهي حقيقة مثبته في القران الكريم اذ يتكىء عليها الشاعر القاضي مشيرا الى الآية القرآنية ﴿**ولا تعلم نفسٌ باي ارضٍ تموتْ** ﴾ [٢٣] اذ يقول : [٢٤]

فيا اخوَتي مَهمَا شَهِدتُم جَنازَتِي ... فَقُوموا لِرَبي واسألوهُ نَجاتي
اناجِيكُمُ وَحياً وإنْ كنتُ صامِتاً ... ألا كُلُكُمْ يَوما إليَ سَياتي
وليسَ يقُومُ الجِسمُ إلا برُوحِهِ ... هو القُطبُ والاعضاءُ والادَوَاتِ
ولابُدَ يَومَاً أن يحورَ بعينِهِ ... ليُجزَى على الطَاعاتِ والتبِعاتِ

فيطرح عدد من البراهين الواقعية عن حقيقة الموت وهي الشمولية لكل البشر والحتمية اذ انه حتمي الوقوع ، فقد نجح الألبيري في قرع اسماع الملوك بتخويفهم اولا وقبل كل شيئي بالموت الذي لا تخطئ سهامه احدا[٢٥]

فيتأمل الدنيا ليجدها زائلة ويسال عن الملوك وعنما جمعوه من الذهب والمتاع الزائل ولا يجد احدا منهم وبأسلوب الاستفهام الانكاري وبشيء من الفلسفة ، يقول:(٢٦)

اين الملوك واين ما جمعوا وما ذخروه من ذهب المتاع الذاهب
كانوا ليوث خفية لكنهم سكنوا عياض اسنة و قواضب
قصفتهم ريح الردى ورمتهم كف المنون بكل سهم صائب

على الرغم من انهم (الليوث) على حد قول الشاعر لكنهم في نهاية المطاف سكنوا القبور وقصفهم الموت ورمتهم كف المنون بالسهام الصائبة فقد تعددت الصور البلاغية التي اراد بها الشاعر ان يقنع الناس من الملوك وغيرهم بان ترف الحياة زائل ومصيره الزوال ، وان رغد العيش ودعته لا تلبث ان تتخطفها يد المنون ، فالأجدر بهم ان يستعدوا لذلك بدلالة زوال العروش،ولعلها حجة لا تقبل الجدل والنكران .

اما (النار) فلشاعرنا فيها قول ايضا ،اذ يذكر الناس بها في قصيدة تعد من اهم قصائده ،قائلا (٢٧)

يا أيها الناسُ خُذُوا حِذرَكمْ وحَصنُوا الجنةَ للنارِ
فإنها مِن شَرِ أعدائكُمْ ما في العِدا أعدَى مِنَ النارِ
وأكثِرُوا مِنْ ذكرِ مَولاكُمُ فَذكرُهُ يُنجِي مِنَ النَارِ
وا عَجَباً مِنْ مَرحٍ لاعبٍ يَلْهُو ولا يَحفِلُ بالنارِ
يُوقنُ بالنارِ ولا يَرعوِي كأنهُ يَرتابُ في النارِ

ان تكرار كلمة (النار) في قافية موحدة له دلالة معنوية مهمة ، اذ يؤكد الشاعر ويذكر بمصيرٍ قد يصيب الغافلين وهو(النار) وهو يخاطب كل الناس– معتمداً اسلوب النداء– ويحذرهم بالتحصن من هذا المصير ، ويحثهم على ذكر الرسول محمد (ص) ففي ذكرهِ النجاة ،ثم ينتقل الى اسلوب التعجب (واعجباً) ممن يلهو ولا يتحصن من النار وهو موقن بوجودها .

وكما يحاجج الشاعر في الموت وقضاياه ، فانه يحاجج في الدنيا بان يذم المتعلق بها ويطرح عليه البراهين التي تثبت بان الدنيا متاع زائل ، اذ كان الشاعر مكثر من ذم الدنيا (٢٨) ، فهو يدلي بعدد من الحكم والآيات المتضمنة في شعره يحاجج بها محبي الدنيا ، قائلا(٢٩) :

كلُّ امرىءٍ فيما يدينُ يدانُ سُبحانَ مَنْ لَمْ يَخْلُ منهُ مَكانُ
يا عامرَ الدُنَيا ليَسكُنَها ومَا هيَ بالتَّي يَبْقى بِها سُكَّانُ
تَفْنَى وتَبقَى الارضُ بَعدَكَ مِثْلَمَا يَبْقى المُناخُ وترْحلُ الرُّكبانُ
أأُسرُّ في الدُنيا بكُلِّ زيادَةٍ وزِيادَتي فيها هيَ النُقْصانُ

فيستهل الشاعر مقطوعته بالمثل المشهور" كما تدين تدان " فكان هذا حجته الاولى ثم ينتقل الى الحجة المثبتة وهي الآية القرآنية " كل من عليها فان[٣٠] واقتران هذه الحجج بأسلوب النداء (ياعامر الدنيا) ثم الاستفهام الاستنكاري (أأسرُ في الدنيا) يثبت ان الشاعر يحاول اقناع المتلقي (محب الدنيا) بانها متاعٌ زائل ، في ان شاعرنا مرض ذات يوم فعاده الوزير ابو خالد هاشم بن رجاء ، فرأى ضيق مسكنه ، فقال :لو اتخذت غير هذا المسكن لكان اولى بك[٣١] ، فأجابه شعراً [٣٢] :

قالوا : الا تستجد بيتاً تعجبُ من حسنهِ البيوتْ
فقلتُ : ما ذلكم صواب حفش كثير لمن يموتْ[٣٣]
لولا شتاء ولفح قيظٍ وخوفَ لصٍ وحفظ قوتْ
ونسوة يبغين ستراً بنيتُ بنيانَ عنكبوتْ

وهكذا كعادة الشاعر يحاجج زواره بنقض آراءهم ومقترحاتهم اذ نصحوه بان يجعل له مسكنا آخر فيوسع به على نفسه الا انه لا يجد ذلك صوابا ، ثم يسترسل في اثبات صواب رأيه اذ يقول انه لولا برد الشتاء وحر الصيف وخوف السرقة وحفظ الطعام وستر النساء لبنيت بيتا مثل بيت العنكبوت ،مستندا الى الآية " ان اوهن البيوت لبيت العنكبوت" [٣٤] هكذا يحاجج الألبيري زائريه ويبرهن لهم بحجة دامغة وهي آي من القران الكريم ، وبعد هذا الحوار الهادئ البسيط الذي يتناسب مع جو المرض، قد آثر في اختيار الألفاظ الهادئة البعيدة عن الخشونة ، وما اختيار القافية (التاء الصامتة) الا زيادة في هذا الهدوء الذي لابد منه عند زيارة المريض ، وهذا يدل على مقدرة الشاعر على المقاربة الفنية بين الموضوع والقافية [٣٥] .

وقد انكر شاعرنا حب الحياة الدنيا ويرفض الاستسلام لشهواتها وقد اطلق عليه د. احمد حاجم البعد الوجودي في شعر الألبيري اذ يتعلق هذا الجانب بوجود الانسان وموقفه من الحياة والموت ،اذ يرفض الشاعر الاستسلام للدنيا لا نها تتصف بالغدر والخداع والتقلب ، وتميل للحمقى وتحقد على العقلاء [٣٦]، وبدا ذلك واضحاً في مواضع عده من شعره ، اذ يقول[٣٧]

فَليسَتْ هذهِ الدُنيا بشيء تَسُوكَ حقبةً وَتَسُرَ وَقتَا
وَغايَتَها اذا فَكَرتَ فِيها كَفَيئَكَ أَو كَحُلمُكَ إِنْ حَلِمتا
سُجنتَ بِها وأَنتَ لَها مُحبٌ فَكيفَ تُحبَ مَا فيهِ سُجِنْتا

ثم تتجلى الحجة والبرهان على زوال الدنيا اذ يقول :

وَتَشهدُ كُلَّ يَومٍ دَفْنَ خِلٍ كَأَنكَ لا تُرادَ بِمَا شَهِدْتا
وَلَمْ تُخلَقْ لِتَعمُرها وَلكنْ لِتعبُرها فَجِدْ لِمَا خُلِقْتَا

ولعل ما يشهده الانسان من دفن لعزيز وقريب اكبر برهان على زوال الدنيا فكيف نحبها ونتعلق بها وهي زائلة لا محالة فعلى الانسان ان لا يحزن على الدنيا الفانية وانما يحزن على كثرة الذنوب فيها ، اذ يقول(٣٨) :

وَمَا آسى عَلى الدُنْيَا ولكنْ عَلى مَا قَدْ رَكَبْتُ مِنَ الذُنُوبِ
فَيَا لَهْفي عَلى طُولْ إِغْتِراري وَ يا وَيحِي مِنَ اليَومِ العَصِيبِ

ثم يلقي حجة اخرى تدعم الاولى وهي عدم الإغترار بالدنيا فالإنسان اللبيب هو من يتعض ولا يلتذ بالدنيا لان المنية تصوب سهامها فوق راسه فلا يدري متى تفاجئه وتصيبه فتقصمه ، اذ يقول (٣٩):

كيفَ يلتذُّ بالحياةِ لَبيبٌ فَوَقتْ نَحوَهُ المَنَّيةُ أسهمْ
ليسَ يَدري مَتى يُفاجِيهِ مِنْها صائِبٌ يَقْصِفُ الظَّهورَ ويقصِمْ

فالزبيري الشاعر الغرناطي الزاهد لم يكن كغيره من الزهاد فهو يبغي دائما اقناع الاخرين بأفكاره وآراءه من خلال القاء الحجج المستقاة من الواقع وليس في الامور الدينية فحسب بل توجه الى امور الدنيا واخذ ينصح ويدعم نصحه بالمحاججة والاقناع وهو يبتغي اصلاح المجتمع ونشر الفضيلة،فضلا عن إنتقاده بعض الظواهر الاجتماعية غير الخلقية التي تنتشر في المجتمع فتؤدي الى تصدع القيم الحميدة والعادات النبيلة ، وهو يسند آراءه بالحجة والدليل ويناقش بالأسلوب العقلي المقنع وبذلك "يعد الحجاج خطاباً ذا إقناعيه تروم دفع المتلقي إلى تغيير اعتقاداته وتبّني ثقافة و سلوكيات وتصرفات منشودة انطلاقاً من حجج ملائمة لثقافة المتلقي "(٤٠) ومن هذه السلوكيات التي يحث عليها الألبيري ، عدم الخوف من الفقر، وعدم الجري وراء المال ، لأنه زائل بإطار حكم مدعوم بالبرهان ، الا وهو زوال الجبابرة بمالهم وسلطانهم ، اذ يقول (٤١) :

مَا أَنْ يدومُ الفقرُ فِيكِ ولا الغِنى سيَّان فَقرُكِ عِندَنا وغِناكِ
أينَ الجَبابرةُ الأُلى ورِياشُهُمْ قد باشَرُوا بعدَ الحَريرِ ثَراكِ
فقد زال ملكهم واموالهم وجمالهم وهو امر واقع فعلاً ، فيقول :
كانتْ وجُوهُهمُ كأقمارِ الدُّجا فَغَدَتْ مُسَجَّاةً بِثَوبِ دُجاكِ
وَكانتْ لِقَيومِ السَمَاواتِ العُلا رَبَ الجَمِيعِ وَقَاهِرَ الامْلاكِ

يذكر متلقيه بان الجبابرة قد زال ملكهم وتوارت وجوههم تحت الثرى بعد ان كانت كالأقمار ، لكن قيوم السماوات هو رب الجميع وقاهر الاملاك والاموال بقدرته وارادته هلكت اموالهم .

كما تناول الشاعر موضوع الكسب الحلال وتجنب المال الحرام ويذكر بالميزان وبحكم الله على اللذين يكنزون المال ولا ينفقون في سبيل الله ، وعد هذا الحكم حجة على الانسان ، اذ يقول : [٤٢]

لا خَيرَ في كَسْبِ الحَرامِ وقَلَّما يُرْجى الخَلاصُ لكاسبٍ لحلالِ
مَا إنْ سَمِعْتُ بعائلٍ تُكْوى غَداً بالنارِ جَبهَتُهُ على الإقلالِ
واذا أردتَ صَحيْحَ مَن يُكوى بها فأقرأ عَقيبةَ سُورةِ الإنْفالِ

فقد دعم فكرته بقوله تعالى " والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذابٍ اليم" [٤٣] من سورة التوبة وهي عقب سورة الانفال كما اشار في ابياته .

وكما يحاجج بالآيات القرآنية فانه يحاجج بالحكم والاقوال الشائعة ، قائلاً [٤٤] :

فلا تَثِقْ بالغِنَى فآفتُهُ الفقرُ وصَرْفُ الزَّمَانِ ذو دُوَلِ
كفَى بِنَيلِ الكَفافِ مِنهُ غِنَى عَنْهُ فَكُنْ فيهِ غَيرَ مُحْتَفِلِ

فالشاعر يستدل بالقول المأثور " آفه الغنى الفقر " ليثبت مصداق دعوته فنيل الكفاف خيرٌ من الغنى كم يرى الشاعر .

ومن النصائح التي حث عليها الشاعر والتي تنفع السامع في دينه ودنياه هي الدعوة الى السفر في البلاد المتنوعة ، ومشاهدة آثار الاقوام والملوك اللذين هلكوا بملكهم وسلطانهم لأخذ العبرة والموعظة ،اذ يقول :[٤٥]

وطُفْ البلادَ لكي تَرى آثارَ منْ قَدْ كانَ يملكُها مِنَ الاقيالِ
عَصَفتْ بِهِمْ ريحُ الرَّدى فَذَرتهُمُ ذَروَ الرياحِ الهُوجِ حقفَ رِمالِ
وَتَزلزَتْ بِهِمُ المَنابِرُ بَعدَ ما ثَبتتْ وكانوا فَوقَها كجِبَالِ

وهنا تشتغل آلية الاقناع بالمشاهدة فقد اعطى الحجة الواقعية المثبته من آثار القوام البائدة بملوكها واموالها .

ومن الوصايا الدنيوية التي اوصى الشاعر ابنه هي صنع المعروف ونشره مرتكزا على دليل واقعي وعملي وهو ان عمل المعروف يجعلك تلقى معروفا في من الاخريين حيث كنت ، فتجني مما غرست ، اذ يقول :(٤٦)

وتنشُرُ عَنكَ في الدُّنيا جَميلاً فتُلْفَى البَرَّ فيها حيثُ كُنتا
وتَمشِي في مَناكِبها كَريماَ وتَجْني الحَمْدَ ممَّا قد غَرَسْتا

كما يحث على موضوع دنيوي غاية في الاهمية في تنمية المجتمع ورقيه ألاوهو التعلم وكسب المعرفة قائلاً :(٤٧)

أبا بكرٍ دعوتُكَ لو أجبتا الى ما فيهِ حَظُّكَ إن عَقَلْتا
إلى علمٍ تكونُ بهِ إماماً مُطاعاً إن نَهَيتَ وإنْ أُمَرْتا
وتَجْلو ما بعَينِكَ مِنْ عَشَاها وتَهْديكَ السَّبيلَ إذا ضَلَلْتا
وتَحملُ مِنهُ في ناديكَ تاجاً ويكْسُوكَ الجَمالَ إذا اغْتَرَبْتا
يَنالُكَ نَفْعُهُ ما دُمْتَ حَيّاً ويَبْقى ذُخْرُهُ لكَ إنْ ذَهَبتا

(ابا بكر) كنية المخاطب المباشر يدعوه الى اكتساب العلم الذي فيه هداية للسبيل ثم تتوالى البراهين التي تسند هذه النصيحة فالعلم تاج وفيه جمال للحي وهو ذخر بعد الممات في اشارة الى الحديث النبوي الشريف ﴿ إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثَةٍ: إِلَّا مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ ﴾ (٤٨).

ثم يقول مسترسلاً في الحجج والبراهين في وجوب التعلم (٤٩) :

هُوَ العَضْبُ المُهنَّدُ ليسَ يَنْبُو تُصِيبُ بهِ مَقاتِلَ مَنْ ضَرَبتَا
وكَنزاً لا تَخافُ عليهِ لصَّاً خَفيفَ الحْملِ يُوجَدُ حيثُ كُنتا
يَزيدُ بكَثْرَةِ الانفاقِ منْهُ وينقُصُ أَن بهِ كفَّاً شَدَدْتَا

فالعلم عند شاعرنا كنز ليس كباقي الكنوز يزيد كما اكثرت من الانفاق منه وينقص ان لزمته عندك ، وهو كنز لا تخاف عليه من السرقة رغم خفة وزنه وهو معك اينما كنت كما ان السيف الذي تقاتل به وتنتصر هكذا يدلو شاعرنا وهو يصف العلم بهذه الصورة ليقنع متلقيه بضرورة كسبه ، ثم يحاجج بان كسب العلم اعلى من كسب المال (٥٠) :

جَعَلْتَ المالَ فوقَ العِلْمِ جَهْلاً لَعَمْرُكَ في القضِيَّةِ ما عَدَلتَا
وبَيْنَهُما بِنَصَّ الوَحيِ بَوْنٌ سَتَعلَمُهُ إذا "طه" قَرَأْتا
لئنْ رَفَعَ الغنيُّ لواءَ مالٍ لأنتَ لواءَ عِلمكَ قد رَفَعْتا

المبحث الثاني

شعرية الخطاب الحِجاجي

اللغة والاسلوب

ان علاقة اللغة بالأسلوب هي علاقة حميمية تتميز بالتداخل فالدراسات الاسلوبية تعنى بالكشف عن الملامح الجمالية من تشريح النص وفك شفراته، وتحديد المهيمنات الاسلوبية داخل بنية النص [٥١] ،لاسيما النص الحجاجي اذ ان "الحجاج يوجد حيث ما وجدت اللغة " [٥٢]،والشاعرالألبيري كان متمكناً من ادوات اللغة ومبدعاً في نسجها في اسلوبه المقنع للآخر .

فالأسلوب صورة كاشفة عن تفكيرصاحبه بوصفه باثاً للخطاب،وكون شاعرنا قاضياً فقد نهج اسلوبا ذاتيا في طرح الفكرة ومن ثم الاقناع بها، و" كل اسلوب صورة خاصة بصاحبه تبين طريقة تفكيره ، وكيفية نظرته الى الاشياء وتفسيرها وطبيعة انفعالاته ، فالذاتية هي اساس تكوين الاسلوب " [٥٣] اذ ان الشاعر لم يهمل المتلقي بل اعطاه القدر الاكبر من الاهمية ، لأنه يحاجج المتلقي ويصب افكاره في قوالب يخاطب بها عقل السامع .

إذ أن وجود متلقٍ يستقبل النص يمثل البعد الثالث في العملية البلاغية ، بعد المنتج والنص فأثره مهم ومؤثر ، فليس هنالك ثمة إفهام أو تأثير أو توصيل بلا قارئ ، فيحكم بالجودة أو الرداءة وهو المعني بقبول النص أو رفضه [٥٤]ومن ثم الاقتناع به عقليا كونه يناقش قضايا تتطلب الايمان بها ثم تحولها الى سلوك يومي سواء أكانت قضايا دنيوية أم دينية .

عند استقراء ديوان الألبيري نجده يقع في أربعين قصيدة ومقطوعة متفاوتة في الطول ، كما نجد ان الحجج والبراهين المتضمنة شعره متوافرة ضمن اغراض شعره المختلفة ، لاسيما في غرض الزهد والرثاء والشكوى ، ولم يعرف الادب العربي في شعره الفصيح اشهر من قصيدته الفريدة والتي تُسمى بـ (منظومة الألبيري) أو(تائية الألبيري) وهي من أهم متون الأدب في طلب العلم وفضله والحث عليه والعناية به، اشتُهرت هذه القصيدة عند طلاب العلم، بسبب ورع صاحبها وزهده ، وقد حوت بدائع الحِكَم والوصايا التي يحتاجها طالب العلم من التزود والنهل من العلم والتخلّق بطيّب

الأخلاق والفِعال، وقد امتلأت بآليات الاقناع للأخر،ويخاطب بها أبنه وينصحه بترك الدنيا وملاذها والتوجه الى الاخرة فينكر حب الحياة ويذكر بالموت .

وتتألف القصيدة من (١١٥) بيتاً متضمناً عدداً كبيراً من الحجج والبراهين ، اذ يتبنى مواقفا حجاجية متعددة، لإقناع الاخر (ابنه) بأفكاره الزهدية ونصائح الارشادية اذ يشير الى عدد ابيات القصيدة في ختامها ويقول [٥٥]:

فلا تأخُذْ بتقصيْري وَسَهْوي وخُذْ بوصيَّتي لكَ إنْ رَشَدْتا
وقد أرْدَفْتُها ستّاً حِساناً وكانتْ قَبلَ ذا مِئةٌ وسِتَّا

ولعل اول ما يطالعنا في القصيدة اسلوب النهي الذي أخذ يشكل ظاهرة اسلوبية في قصيدة الوصية – أن صح التعبير – فنجده متوالياً بين طياتها ، حتى يختم به كما في الابيات الختامية آنفه الذكر ، وكذلك قوله [٥٦]

فَلا تأمَنْ سُؤالَ اللهِ عنهُ بتوبيخٍ : عَلِمْتَ فَهلْ عَمِلْتا ؟

وهنا ينهي عن الاطمئنان الى عاقبة الحياة ، وهي الوقوف امام الله (عز وجل) ويطرح هنا حجة دامغة ويذكر بالموقف العظيم بين يدي الله تعالى ثم النهي عن الحزن على متاع الدنيا ، فالفوز الحق هو الفوز بالأخرة ، قائلا[٥٧] :

ولا تَحزنْ على مَا فاتَ مِنْها إذا مَا أَنتَ في أُخراكَ فُزْتَا

كما يعتمد اسلوب النهي في النصح والارشاد مع الاقناع فلا ينهي عن امر بصورة النهي التعسفي وانما بأسلوب الترغيب والاقناع العقلي المصحوب بالحجة والدليل فيحث على عدم مرافقة السفهاء من الناس ، فيقول [٥٨] :

ولا تَضْحَكْ مَع السُّفهاءِ لَهواً فَإنَّكَ سَوفَ تَبْكي إنْ ضَحِكتَا

ثم يأتي النهي مرة اخرى في عدم الإغترار في الشباب والبرهان بأنك دفنت من هم كانوا في عمر الصبا اذ يقول[٥٩] :

وَلا تَقُل الصَّبا فيهِ مَجالٌ وفَكِّرْ كَمْ صَغيرٍ قَدْ دَفَنْتا

ثم يصف اهوال النار وعذابها وينهي عن التكذيب بأخبارها قائلا [٦٠] :

فلا تُكْذَبْ فإنَّ الأَمْرَ جِدٌ وَلَيسَ كَمْا احْتَسَبْتَ وَلا ظَنَنتا

ثم يقول ناصحاً ومرشداً [٦١]:

فلا تَرْضَ المَعايبَ فَهي عَارٌ عَظيمٌ يُورِثُ الأنْسَانَ مَقْتَا

فينصحه بان يتجنب العيوب فهي عارٌ عظيم يجعل الانسان ممقوتاً بين الناس حتى يختتم القصيدة بالنهي قائلا :

فلا تأخُذْ بتقصيْري وَسَهْوي وخُذْ بوصيَّتي لكَ إنْ رَشَدْتا

يعلن ان هذه القصيدة هي عبارة عن وصية قد لا تخلو من السهو والتقصير آلا أنها ترشده بمضامينها المتنوعة ،ويتجلى اسلوب النهي في (لا تأمن) و(لا تحزن) و(لا تضحك) و(لا تكذب) و(لا ترضى) ، وكما ينهي عما يراه معيباً ، فأنه يأمر بما يراه مناسباً ومقوماً لسلوك الابن ، وبذلك فان توالى فعل الامر في وصيته يحثه على كثرة
الانفاق في سبيل الله فيقول [٦٢]:

فَواظبْهُ وخُذ بالجِدَّ فيهِ فإنْ أَعْطاكَهُ اللهُ أَخَذْتَا

ثم يقول[٦٣]:

وسَلْ مِنْ رَبَّكَ التَّوفيقَ فِيها وأَخْلِصْ في السُّؤالِ إذا سَأَلْتا
ونادِ إذا سَجَدْتَ لهُ اعترافاً بما نَادَاهُ ذو النُّونِ بنُ مَتّى
ولازِمْ بابَهُ قَرْعاً عَسَاهُ سَيَفْتَحُ بابَهُ لكَ إنْ قَرَعْتا
وأَكْثِرْ ذكرَهُ في الأَرْضِ دَأْباً لِتُذْكَرَ في السَّماءِ إذا ذَكَرْتَا
وقُل لي يا نَصيحُ لأَنْتَ أَولى بِنُصْحَكَ لو بعقلكَ قد نَظَرْتَا

ولا شك ان (الواو) العاطفية اسهمت في وصل الجمل على بعضها ، فضلاًعن تدعيم الحجة والدليل والاسلوب الحجاجي وتعدية البنى الحجاجية المنسجمة و الدلالة النصية .حتى يقول :

ونَفْسَكَ ذُمَّ لا تَذْمُمْ سِواها بِعَيْبٍ فهيَ أَجدرُ مَنْ ذَمَمْتا

اذ يتضح اسلوب الامر في قوله "سل ، لازم ، أكثر ، قُل ، ذُم ، " كما يورد عدداً كبيراً من الثنائيات من المحسنات اللفظية اذ يقول[٦٤] :

يَزيدُ بكَثْرَةِ الإنفاقِ مِنْهُ وينقُصُ أَن بهِ كفَّاً شَدَدْتَا

وكذلك قوله[٦٥]:

سَتَجْنِي من ثمارِ العَجْزِ جَهْلاً وتَصْغُرُ في العُيونِ إذا كَبِرْتا
وتُفقَدُ إن جَهِلتَ وأَنتَ بَاقٍ وتُوجَدُ إن عَلِمْتَ وقَد فُقِدْتَا

ثم يقول :

سَيَنْطِقُ عَنْكَ عِلْمُكَ في نَدِيٍّ ويُكتَبُ عَنك يَوماً إنْ كَتَبْتا
وما يُغْنِيكَ تشييدُ المَبانِي إذا بالجَهْلِ نَفْسَكَ قَدْ هَدَمْتا
فَقَابِلْ بالقَبولِ صَحيحَ نُصْحِي فَإنْ أَعرَضْتَ عنه فَقَدْ خَسِرْتَا
وَإنْ راعَيْتَهُ قَولاً وفِعْلاَ وتاجَرْتَ الإلهَ بهِ رَبِحْتا
فَلَيْسَتْ هذِهِ الدُّنيا بِشَيٍّ تَسُوؤُكَ حِقْبَةً وتَسُرُّ وَقْتا
وتَغْرَى إنْ لبِسْتَ لها ثِياباً وتُكْسى إنْ مَلابِسَها خَلَعْتا

حتى يقول (٦٦):

أَبا بَكرٍ كَشَفتَ أَقَلَّ عَيْبي وأَكثَرَهُ ومُعْظَمَهُ سَتَرْتَا
ومَهْمَا عِبْتَني فَلِفَرْطِ عِلمي بِباطَنَتي كأَنَكَ قَدْ مَدَحْتا
كما الطَّاعاتُ تَنْعَلُكَ الدَّراري وتجعلُكَ القريبَ وإن بَعُدْتا

وكذلك يقول (٦٧) :

ولا تَلبَثْ بِحيٍّ فيهِ ضَيْمٌ يُميتُ القَلبَ إلا إنْ كُبِلْتا
وغَرِّبْ فالغَريبُ لهُ نَفاقٌ وشرَّقْ إنْ بِريقكَ قد شَرِقتا

ثم يختم وصيته قائلا (٦٨) :

وإنْ كَرَّمْتَهَا ونَظَرْتَ مِنْها بإجلالٍ فنفسَكَ قَدْ أَهَنْتَا

وفي هذه النصوص الشعرية تبرز الثنائيات الضدية لتكون عنصراً فاعلاً في تعزيز المعاني الحجاجية من خلال ورود المعنى وضده بأسلوب اقناعي حجاجي .

الصورة الشعرية

أن الصورة هي لوحة لغوية يستطيع الشاعر من خلالها أن يقوم بتحويل المعنى من العقل أو العاطفة ، الى ان يجعله حاضراً في الواقع ، وتعد الركن الجاذب للمتلقي وتمثل البؤرة الجمالية في الكتابة الشعرية معتمداً على مهارة الشاعر في ايجاد علاقة حميمية بين اللغة والاسلوب من جهة وبين اللوحات التصويرية من جهةٍ أُخرى ،و تعد " الصورة في الشعر هي الشكل الفني الذي تتخذه الألفاظ والعبارات بعد أن ينظمها الشاعر في سياق بياني خاص ليعبر عن جانب من جوانب التجربة الشعرية

الكاملة في القصيدة مستخدماً طاقات اللغة وإمكاناتها في الدلالة والتركيب والإيقاع ، والحقيقة والمجاز، والترادف والتضاد، والمقابلة والتجانس وغيرها من وسائل التعبير الفني، أو يرسم بها صوره الشعرية، لذلك يتصل الحديث عن الصورة بناء العبارة" (٦٩).

لذا فان الصورة تستمد قيمتها من التجربة الشعرية الكاملة اي من اللغة والموسيقى والدلالة والتركيب وبما ان النص الحجاجي ينطوي على محتملات نسقية وإحالات إشارية ذات أبعاد ثقافية فاعلة تتوسل باللغة وأنظمتها المتشابكة من أجل تشكيل فضاءات ماورائية للمعنى في إطار السياق الكلي للنص (٧٠).

فأن الألبيري استند الى العقل من جهة ،والى ثقافته العامة من جهة اخرى في رسم صوره أكثر من العاطفة ، كونه يميل الى الاقناع و المحاججة التي بدت سمة من سمات شعره ، لاسيما في غرض الزهد ، حيث " ارتبطت الصورة الشعرية دائما بموقف من الحياة ، ودلت على خبرة الشاعر ونظراته الدقيقة إلى الأمور وبذلك أصبحت الصورة تنقل مشهداً حياً ، كما تلخص خبرة وتجربة إنسانية " (٧١).

وقد ابدع في تكوين صوراً ومشاهد متعددة وهو يحاجج سامعه معتمد على اسلوب الخطاب المباشر تارة وغير المباشر تارة أُخرى ، ففي وصفه للنار وهو ينصح ويحذر من اهوالها، قائلاً (٧٢) :

يَهْوي بِهَا الأَشْقى عَلى رَأْسِهِ فَالوَيْلُ للأَشْقى مِنَ النَّارِ
فَتارَةً يَطْفُوعَلى جَمْرِها وَتارَةً يَرْسُبُ في النَّارِ

اذ يرسم صورة مخيفة تحمل دلالة السرعة في الهبوط اذ تتجلى الصورة الحركية بالفعل (يهوى) ، اما لفظ (الاشقى) فهو مقتبس من قوله تعالى "فأنذرتكم ناراً تلظى لا يصلاها الا الاشقى "(٧٣) فالشاعر يدعم فكرته ويسندها بالاقتباس القرآني كونه احد اليات الحجة البرهانية المقنعة .

فيسترسل في رسم الصور المرعبة التي تدفع المتلقي الى عادة النظر في سلوكه ومن ثم تعديله ، معتمداً على صور صوتية وحركية ، قائلا (٧٤) :

تَنْقَدُّ مِنْ غَيْظٍ فَتَغْلي بِهِمْ كَمِرْجَلٍ يَغْلي عَلى النَّارِ
فَيَستَغِيثُونَ لكَي يُعتَبُوا أَلا لَعاً مِنْ عَثْرَةِ النَارِ

يكرر لفظ (تغلي) يرسم صور تشبيهية – حركية ذات صوت ، وهو صوت الغليان ثم يظهر الصوت الاخر في البيت الثاني وهو صراخ المستغيثين ، بمشهد مخيف عمد اليه الشاعر في محاولة لإثار خوف متلقيه من النار وتحفيزه للعمل على تجنب الانتهاء اليها .

وفي ذم الدنيا والمحاججة في زوال نعمتها ، يذكر بسقوط حكم الملوك بكل ما لديهم من مالٍ وجاه ، فكانت نهايتهم الموت ، فيرسم صورة اخرى لا تخلو من التجسيد والحركة ، فللموت كفٌ تصيب سهامها من غفل عنها، وللردى ريح تقصف كل انسانٍ مهما كان ملكه وعلا شأنه (٧٥) :

أَيْنَ المُلوكُ وأَيْنَ مَا جَمَعُوا ومَا ذَخَرُوهُ مِنْ ذَهَبِ المَتاعِ الذَّاهِبِ

قَصَفَتْهُمُ رِيحُ الرَّدَى ورَمَتْهُمُ كَفْ المَنُونِ بِكُلِ سَهْمٍ صائِبِ

فمصير هؤلاء الملوك هو حجةٌ ودليل قاطع يدعم فكرة الشاعر

وتبدو الصورة الحركية في الافعال (قصفتهم) و(رمتهم) وتجسيد الموت الذي يتحرك ويرمي سهامه بكفه .

اما الصورة الذوقية التي رسمها وهو يحاجج في اهمية التعلم وكسب المعرفة وهو ينصح ابنه قائلاً (٧٦) :

فَلو قد ذُقْتَ من حَلواهُ طَعماً لآثَرْتَ التعلُمَ واجتَهَدْتا

ولم يَشغلكَ عنهُ هوىً مُطاعٌ ولا دُنيا بِزُخرُفِها فُتنْتا

فالعلم عند شاعرنا كحلوى لو ذاقها الانسان لآثر التعلم على جمع المال ، ولا أيٍ من زخرف الدنيا الفانية ، ثم يرسم صور متعددة وهو يثبت صحة دعوته الى العلم والتعلم ويحاجج لإثبات صحة دعواه فيقول (٧٧):

وليسَ لِجاهِلٍ في النَّاسِ مَعْنى ولو مُلْكُ العِراقِ لهُ تأَتَّى

سَيَنْطِقُ عَنْكَ عِلْمُكَ في نَدٍي ويُكتَبُ عَنْكَ يوماً إِنْ كَتَبتا

ومَا يُغْنِيكَ تَشييدُ المَباني إِذا بالجَهْلِ نَفْسَكَ قَدْ هَدَمتا

وهنا الصورة الصوتية من خلال تجسيد العلم الذي ينطق بدل الانسان المتعلم بل ويكتب عنه ، فجعل للعلم لسان ينطق به ويد يكتب بها ، ثم يقول مقارناً بين الغني الجاهل والفقير المتعلم (٧٨):

وإِن جَلَسَ الغَنيُّ على الحَشايا لأنتَ عَلى الكواكِبِ قَد جَلَسْتا

وإِن رَكِبَ الجِيادَ مُسَوَّماتٍ لأَنتَ مناهِجَ التَّقوى رَكِبْتا

ومَهْمَا افْضَّ أَبكارَا لغَواني فَكَمْ بِكْرٍ مِنَ الحِكَمِ افْتَضَضْتا

ويرفع الشاعر من منزلة العالم فان كان للغني منزلة بين الناس على الارض فالعالم والمتعلم له منزلة فوق الكواكب وان ركب الغني الجياد فان العلم يركب مناهج التقوى والعلم والورع وهي اعلى مراتب وارفع شأن انها صور متتالية يحاجج بها الشاعر لدعم فكرته .

كما يقول الشاعر الزاهد وهو يتوجه بالنصح والارشاد لكل من يأمن الزمن وتسارع ساعاته ، فيرسم صور فنية متلاحقة بأسلوب الخطاب المباشر ، قائلاً [٧٩] :

تَفُتُّ فُؤادَكَ الأيَّامُ فَتًّا وتَنْحِتُ جِسْمَكَ السَّاعاتُ نَحْتا

وتَدْعُوكَ المَنُونُ دُعاءَ صِدْقٍ أَلا يا صاحِ : أَنتَ أُريدُ ، أَنتا

اعتمد الشاعر فعل (تفتُ) دلالة على السحق هذا ما تفعله الايام في فؤاد الانسان ثم التوكيد اللفظي (فتا) وكذا فعل (النحت) للدلالة على حدة ما تعملها الساعات في جسم الانسان والتأكيد اللفظي (نحتا) الذي يزيد من قوة التعبير، اما المنون وهي الموت تدعو الانسان وتخاطبه – مجسداً اياها – بان تناديه بحرف النداء (يا) بأنها تريده ويكرر ضمير المخاطب (أنت) بإسلوب الخطاب المباشر.

ثم يقول مقارناً بينه وبين متلقيه ، ليقيم مقاربة توجيهية بغية الاقناع [٨٠]:

وها أَنا لم أَخُضْ بَحْرَ الخَطايا كما قَدْ خُضْتَهُ حتّى غَرِقتا

فقد صور الخطايا بانها بحر قد يخوضه الانسان حتى يغرق به، فيرشد ويوعظ المتلقي بانه لم يخض في هذا البحر المغرق، وعليه ان يقتدي بشاعرنا الزاهد الناصح ويعد ذلك حجة على السامع .

وقد رسم الشاعر لوحة حزينة يندب بها نفسه ويذكرها المعاد فيقول [٨١] :

كأني بِنَفْسي وهيَ في السَّكَراتِ تُعالِجُ أنْ تَرْقى إلى اللَّهَواتِ

وقد زُمَّ رَحلِي واسْتَقَلَّتْ ركائبِي وقَدْ آذَنَتْنِي بالرَّحيلِ حُداتِي

إلى مَنْزِلٍ فِيْهِ عَذابٌ ورَحمَةٌ وكَمْ فيهِ مِنْ زَجْرٍ لنا وَعِظاتِ

اذ يرى نفسه وقد تلاقفتها سكرات الموت وتصعد الروح ، ثم يرتحل في تابوته الى منزل الاخرة ، حيث العذاب اوالرحمة ، وفيه العضه والزجر.

وفي مشهد حزين يرثي به نفسه ويبكي عليها ، حتى ينتقل الى طرح الحجج على قومه ويوصيهم بوصايا متعددة ضمن صور فنية حافلة بشحنة عاطفية حزينة ، فضلاًعن الحجج العقلية المقنعة والتي لا تقبل الجدل ، قائلاً :

فَيَا إِخْوَتي مَهْمَا شَهِدتُمْ جَنازَتِي فَقُموا لَعَلَّ إلهي يَقْبلُ الدَّعواتِ
ولا تتنَاسَوني فَقِدْماً ذَكَرتُكُمْ وَواصَلْتُكُمْ بالبِرَّ طُوْلَ حَياتِي
أُناجِكُمُ وإنْ كنتُ صامِتاً أَلا كُلُّكُمْ يَومَاً إلَّي سَيَأتِي

وبإسلوب الخطاب المباشر معتمد على (يا) للنداء يطلب من اخوانه الدعاء له عندما يشهدون جنازته في مشهد تخيلي حزين يحاجج به في الوقت نفسه مخاطبيه ، ثم يتجلى الخطاب الحجاج بوضوح وهو يرسم هذه الصورة الدرامية المبكية ، فيذكرهم بانه واصلهم وكان بارا بهم في يومٍ ما قبل ذلك الموقف ، لذا كان لزاماً عليهم انم يردون الجميل بالبر والدعاء ، فقد ربط الشاعر حجته بصورة واقعية وان كانت من خياله الا وهي مشهد الجنازة وبر الاصحاب من خلال الدعاء ، ثم تأتي الحجة الاخرى وبإسلوب الخطاب المباشر ايضا ، بان كلكم سوف يأتي الى هذا المصير الذي آل اليه الشاعر ، وهي حجة مقنعة ودامغة وهو هنا في موقف المناجي بصمت ، فيكون صورتين متلاحقتين وكل منهما تحمل حجة لا تقبل التشكيك .

الخاتمة

خلص البحث الى نتائج أهمها ما يأتي :

١. ان اغلب الاغراض الشعرية التي تتضمن اساليب حجاجية ، الغرض منها اقناع المتلقي بآراء منتج النص ومعتقداته ليكون قناعات جديدة او يرسخ قناعات قديمة في اطار الغرض الشعري الاساس لاسيما الاغراض الفلسفية كالزهد
٢. عند استقراء ديوان الألبيري نجده يقع في أربعين قصيدة ومقطوعة متفاوتة في الطول ، كما نجد ان الحجج والبراهين المتضمنة شعره متوافرة ضمن اغراض شعره المختلفة ، لاسيما في غرض الزهد والرثاء والشكوى
٣. ان لإيمان الشاعر وتقواه وصلاحه أثر بالغ في قدرته على المحاججة والتأثير لان ايمان الانسان بقضيه يعد دافعاً فعالاً في تعميق القدرة على الاقناع والتأثير في القضايا التي يؤمن بها ، لاسيما القضايا الأخوية كالإيمان بالموت والقدر وزوال الدنيا .
٤. لقد تمكن الشاعر الألبيري من ادواته في طرح المفاهيم ، من خلال مخاطبة عقل المتلقي واقناعه بها سواء أكانت مفاهيم دينية ام دنيوية من خلال ظربه للأمثال او الاحالة الى الآيات القرآنية ، ومن ثم القياس عليها في كل مجالات الحياة فضلاًعن التأثير العاطفي .
٥. تناول الشاعر موضوعات مختلفة ومتنوعة وهو يحاجج ويبرهن ، كالحث على طلب العلم ، وذم الدنيا ، وطرح عدد من الموضوعات الدين كالتذكير بالموت والاستعداد له وموضوعات الدنيا كالفقر والغنى وطلب العلم .
٦. لقد كان الشاعر واقعياً في طرح موضوعاته ، ولم يجنح الى الخيل كثيرا ولم يوغل به الا بالنزر القليل بما تفرضه متطلبات الخطاب الشعري ، مشغلا آليات البراهين وحجج من الواقع المعاش والملموس ليكون اكثر اقناعاً للمتلقي .

٧. ان لعمل الشاعر في القضاء اثرٌ واضح في طروحاته ، واسلوبه في الخطاب الحجاجي حيث المحاججة عن دراية ثقافية واضحة، وذلك بالاستناد الى الآيات القرآنية واخذ العبرة والعضة من الامم البالية .
٨. لقد الشاعر نهج اسلوبا ذاتيا في طرح الفكرة ومن ثم الاقناع بها ، اذ ان الشاعر اعطى للمتلقي القدر الاكبر من الاهمية ، لأنه يحاججه ويصب افكاره في قوالب يخاطب بها عقل السامع .
٩. ان شاعرنا استند الى العقل من جهة ، والى ثقافته العامة من جهة اخرى في رسم صوره أكثر من العاطفة ، كونه يميل الى الاقناع و المحاججة التي بدت سمة من سمات شعره ، رغم عدم اهماله للعاطفة ، لكنها بدت اقل وضوحا واستخداما في خطابه الحجاجي لاسيما الصور التي ترتبط دائما بموقف من الحياة ، ودلت على خبرة الشاعر ونظراته الدقيقة إلى الأمور وبذلك أصبحت الصورة تنقل مشهداً حياً ، كما تلخص خبرة وتجربة إنسانية عميقة.

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم

كتب الحديث النبوي

شرح النووي على مسلم، يحيي بن شرف أبو زكريا النووي،دار الخير،: ١٩٩٦م

الكتب العربية

١. الاتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر، عبد القادرالقط ، مكتبة الشباب ، سنة ١٩٩٢
٢. الادب الاندلسي موضوعاته وفنونه، مصطفى الشكعة ،دارالعلم ،بيروت ط٥
٣. استراتيجية الخطاب
٤. الاسس النظرية لبناء شبكات قرائية للنصوص الحجاجية
٥. الاسلوب ، أحمد الشايب ، مكتبة النهضة المصرية ، ط ١٣، ٢٠٠٣
٦. الاسلوبية، بيير جيرو، ترجمة: د. منذر عياش، مركز الإنماء الحضري ، بيروت ، ط٢ ، ١٩٩٤.
٧. الاسلوبية وتجلياتها في الدرس اللغوي الحدي،د.عقيد خالدالعزاوي،دار العصماء ،ط١ ، ٢٠١٥ .
٨. الاقناع الاجتماعي – خلفيته النظرية وآلياته العملية – عامر مصباح ، ديوان المطبوعات الجامعية ، ط٢ ، الجزائر ، ٢٠٠٦ م
٩. بغية الملتمس ، للضبي ، مطبعة روخس ، مجريط ، ١٨٨٤.
١٠. بلاغة الخطاب وعلم النص، د. صلاح فضل،عالم المعرفة، الكويت ، ١٩٩٢.
١١. البيئة الاندلسية واثرها في الشعر،(عصر ملوك الطوائف)، سعد اسماعيل شلبي ، (د.ت).
١٢. البنية الحجاجية في قصة سيدنا موسى (علي السلام)
١٣. الحجاج في الشعر العربي بنيته واساليبه،،د.سامية الدريدي،عالم الكتب الحديث ، ط٢ ، ٢٠١١.
١٤. الحجاج في الشعر العربي القديم من الجاهلية الى القرن الثاني الهجري بنيته واساليبه ، د. سامية الدريدي ، عالم الكتب الحديثة ، ط١ ، ٢٠٠٨.
١٥. الحجاج في القران الكريم من خلال اهم خصائصه الأسلوبية ، عبد الله صوله ، دار الفرابي ، لبنان ، ٢٠٠٧ م

١٦. غسق الشعرالاندلسي دراسات في الادب الاندلسي ، د. أحمد حاجم، الدار العربية للموسوعات ، بيروت ،(د. ت) .
١٧. قراءة ثقافية في أنساق الشعر العربي القديم ، يوسف عليمات ، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع ، ط١ ، ٢٠٠٩ .
١٨. قصيدة الحداثة في شعر السبعينيات
١٩. مفهوم الحجاج عند (بيرلمان) وتطوره في البلاغة المعاصرة
٢٠. منهاج البلغاء وسراج الادباء،لابي الحسن حازم القرطاجني ،تحقيق محمد الحبيب بن الخوجه ، دار الكتب الشرقية ، تونس ، ١٩٦٦
٢١. نفح الطيب للمقري التلمساني، تحقيق احسان عباس،دار صادر،بيروت، ١٩٦٨

دواوين الشعر

٢٢.ديوان أبي اسحاق الألبيري الاندلسي ، تحقيق محمد رضوان الداية ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ١٩٧٦.

المعاجم اللغوية

٢٣.لسان العرب ، لابن منظور، دار صادر ، بيروت
٢٤.المعجم الوسيط ، مجمع اللغة العربية ، مكتبة الشروق الدولية ، ط٤ ، ٢٠٠٤

الرسائل والاطاريح الجامعية

٢٥. التجربة الزهدية بين ابي العتاهية وابي اسحاق الألبيري (دراسة موازنة) ، رسالة ماجستير تقدم بها : محمود لطفي نايف ، الى جامعة النجاح الوطنية ، نابلس –فلسطين ، ٢٠٠٩
٢٦. شعر قضاة الاندلس من الفتح حتى نهاية عصرملوك الطوائف، رسالة ماجستير، اشجع رشيد عبد الجبار، جامعة النجاح الوطنية .

المجلات والدوريات الادبية

١. بلاغة الحجاج في النص الشعري ،يوسف محمود عليمات ، مجلة جامعة دمشق، المجلد ٢٩ ،العدد ٢ ، ٢٠١٣ .

الهوامش

(١)- ينظر :المعجم الوسيط : ١-١٠٦
(٢)- لسان العرب : م ١٢ \ مادة (حجج)
(٣) - الحجاج في القران الكريم : ١٠
(٤) - المعجم الوسيط : ١-١٠٦
(٥) - الحجاج في الشعر العربي القديم : ٢١
(٦) - منهاج البلغاء وسراج الادباء : ٦٢
(٧) - الحجاج في الشعر العربي بنيته واساليبه :٢٦
(٨) - الاسس النظرية لبناء شبكات قرائية للنصوص الحجاجية : ٣٣٦
(٩) - الاقناع الاجتماعي :٩
(١٠) - مفهوم الحجاج عند (بيرلمان) وتطوره في البلاغة المعاصرة : ١٩٣
(١١) - البنية الحجاجية في قصة سيدنا موسى (علي السلام) :٥
(١٢) - ينظر : استراتيجية الخطاب : ٤٧٧
(١٣) - البنية الحجاجية في قصة سيدنا موسى (عليه السلام) :٢
(١٤) - استراتيجية الخطاب :٤٧٧
(١٥) - قراءة ثقافية في انساق الشعر العربي القديم : ١١
(١٦) - ينظر : شعر قضاة الاندلس من الفتح حتى نهاية عصر ملوك الطوائف (رسالة ماجستير)
(١٧) - ينظر الادب الاندلس موضوعاته وفنونه ، مصطفى الشكعة : ٥١- ٥٢
(١٨) - ينظر الادب الاندلس موضوعاته وفنونه ، ٥٧
(١٩) - ديوان الألبيري : ١٢٠
(٢٠) - المصدر نفسه : ١٠٤
(٢١) - ينظر التجربة الزهدية : ٦٠
(٢٢) - ديوان الألبيري : ٥٣
(٢٣) - سورة لقمان :٣٤
(٢٤) - ديوان الألبيري : ٥٦
(٢٥) - ينظر التجربة الزهدية : ٨٣ ٩١
(٢٦) - ديوان الألبيري :١١٥
(٢٧) - المصدر نفسه :٩١
(٢٨) - بغية الملتمس في تاريخ الاندلس : ٢٢٥
(٢٩) - ديوان الألبيري : ١١٩
(٣٠) - سورة الرحمن : ٢٦
(٣١) - نفح الطيب : ٣٨

(٣٢) – المصدر نفسه :٣٨

(٣٣) – حفش : البيت الصغير من بيوت الاعراب ، ينظر المعجم الوسيط : ٢٠٦

(٣٤) – سورة العنكبوت : ٤١

(٣٥) – التجربة الزهدية : ٦٦

(٣٦) – غسق الشعر الاندلسي : ٦٥

(٣٧) – ديوان الجبيري : ٢٣

(٣٨) – ديوان الألبيري : ٣٢

(٣٩) – المصدر نفسه : ٥٠

(٤٠) – بلاغة الحِجاج في النص الشعري:٢٥٨

(٤١) – ديوان الألبيري : ٣٦

(٤٢) – ديوان الألبيري :٤٠

(٤٣) – سورة التوبة : ٣٤

(٤٤) – ديوان الألبيري: ١١٨

(٤٥) – المصدر نفسه : ٤١

(٤٦) – المصدر نفسه : ٢٨

(٤٧) – ديوان الألبيري: ٢٠

(٤٨) – صحيح مسلم ،كتاب الوصية ، حديث رقم ١٦٣١، ٣/ ١٢٥٥.

(٤٩) – ديوان الالبيري:٢١

(٥٠) – ديوان الألبيري:٢٢

(٥١) – ينظر الأسلوبية وتجلياتها : ٥١٥

(٥٢) – بلاغة الخطاب وعلم النص : ١٥

(٥٣) – الاسلوب : ١٣٤

(٥٤) – ينظر الاسلوبية : ٢١

(٥٥) – ديوان الألبيري : ٣٠

(٥٦) – ديوان الألبيري ٢١

(٥٧) – المصدر نفسه :٢٤

(٥٨) – المصدر نفسه :٢٤

(٥٩) – المصدر نفسه :٢٥

(٦٠) – المصدر نفسه : ٢٨

(٦١) – المصدر نفسه : ٢٨

(٦٢) – المصدر نفسه: ٢١

(٦٣) – ديوان الألبيري:٢٤

(٦٤) – المصدر نفسه :٢١

(٦٥) – المصدر نفسه : ٢٢

(٦٦) – المصدر نفسه :٢٨

(٦٧)– المصدر نفسه: ٢٩

(٦٨) – المصدر نفسه : ٣٠

(٦٩) – الاتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر :٢٩١

(٧٠) – بلاغة الحجاج في النص الشعري :٢٥٦

(٧١) – قصيدة الحداثة في شعر السبعينيات: ٢٣٨

(٧٢) – ديوان الألبيري : ٩٠

(٧٣) – سورة الليل : ١٤–١٥

(٧٤) – ديوان الألبيري : ٩٠

(٧٥) – ديوان الألبيري:١١٥

(٧٦) – المصدر نفسه :٢١

(٧٧) – المصدر نفسه :٢٢

(٧٨) – المصدر نفسه:٢٣

(٧٩) – المصدر نفسه : ١٩

(٨٠) – ديوان الألبيري: ٢٥

(٨١) – المصدر نفسه : ٥٢